

# في افق السياسة العالمية

## الحرب الباردة والقنلة الذرية

وصف أحد الكتاب السياسيين حالة الجفاء والتوتر القائمة الآن بين الدول الكبرى بأنها الحرب الباردة أو الجاردة ، التي لا تراق فيها الدماء ، ولا تقتتل الجيوش ، وإنما تصطدم فيها السياسات وتصطرح مصالح الشعوب ، ويضحى من أجلها بأنفس ما وصلت إليه جهود البشر في الحرب الأخيرة من تعاون وسلام . ومن علامات هذه الحرب الجديدة ، أن الكتاب والسياسيين الذين كانوا في الماضي ينبذون اسم الحرب ، ويتحاشون ذكرها في أحاديثهم أو بياناتهم ، قد أصبحوا الآن لا يكاد يمر يوم دون أن تجرى فيه كلمة الحرب المشثومة على ألسنتهم وعلى أسنة أقلامهم ، لا في خطبهم وصحفهم فحسب ، بل كذلك في ساحة الهيئة الدولية وأمام الملا من مندوبي الدول الذين اجتمعوا في نيويورك لتأمين قضية السلام وتوطيد أركان التعاون بين الشعوب . فمندوب روسيا هناك لا يرى حرجاً في أن يتهم حكومة الولايات المتحدة علناً بأنها حكومة استعمارية تدعو في سياستها إلى الحرب ، وبأنها تجرى في خططها بوحى من أصحاب دءوس الأموال الذين يفيدون عادة من الحروب . ثم ينحرف المندوب إلى بريطانيا ويخص مستر تشرشل بقارص اللوم والتقريع ، ويقول عنه : « إن تشرشل يحرص على شن حرب أخرى ضد روسيا وديمقراطيات أوروبا الشرقية . . . وإنه لا ينجل من أن يهدد بعقد محالفة عسكرية بين أمريكا وبريطانيا لاشعال نار حرب جديدة » . وأخيراً يقول المندوب في خطابه أمام الجمعية العمومية لهيئة الأمم :

« إن هؤلاء الدعاة الذين يستفيدون من الحرب يحاولون تخويف الشعوب بالأكاذيب الملققة عن استعدادات يزعمون أن الاتحاد السوفيتي يقوم بها لمهاجمة أمريكا ، وهم يعلمون من غير شك أنهم كاذبون ، وأن الاتحاد

السوفيتي لا يهدد أحداً بالاعتداء بأية صورة . « ويرد المندوب البريطاني على هذه الاتهامات فيقول : إن روسيا مازالت تؤمن بالنظرية التاريخية البالية نظرية السيطرة والسيادة المطلقة في العالم ، وإنه إذا لم تكن روسيا مستعدة لقبول مبدأ المساواة التامة عن رضا واختيار ، فلن يكون لهيئة الأمم المتحدة معنى ، ويكون اجتماع مندوبي الدول في جمعياتها ومجالسها ضرباً من العبث . ولا يكاد ينقضى أسبوع على هذا التراشق بالتهم بين مندوبي الدول الثلاث الكبرى حتى يظهر كتاب سياسى للوزير الأمريكى السابق مستر جيمس بيرنز ، وقد جعل عنوانه : « لتتكلم بصراحة » (١) وقد فند فيه سياسة روسيا ، وبين أنها تعمل جاهدة للهيمنة على أوروبا ، لا فى شرقها ووسطها لحسب ، بل فى غربها أيضاً . ومما جاء فى كتابه خاصا بمشكلة ألمانيا : « إنه إذا تفاقم الخلاف بين الدول الغربية وبين اتحاد السوفيت بشأن مصير ألمانيا فمن واجب الدول الغربية أن تدعو سائر الدول إلى مؤتمر عام . وإذا أصرت روسيا على موقفها ورفضت سحب قواتها من المنطقة الألمانية التى تحتلها ، فما على الدول الغربية إلا أن تعقد مع ألمانيا معاهدة صلح على انفراد ، ثم يتعاون الجميع على طرد-روسيا خارج ألمانيا بالقوة . » وكذلك لم يحاول مستر بيغن وزير خارجية إنجلترا أن يخفى قلقه حين قال فى خطبة حديثة له : إنه إذا استعصى الاتفاق بين الدول فى مؤتمر وزراء الخارجية الأربعة المزمع عقده فى ٢٥ نوفمبر ، فإن الموقف بين الدول لا بد أن يتطور تطوراً بالغاً منتهى الخطورة .

ولم يقف اتهام الفريقين بعضهم بعضاً عند حد التراشق بالتهم والمهاجرة فى الكتابة والخطابة ، بل يبدو أنهما قد وطنا النفس على اجتياز حدود الكلام والدخول إلى منطقة الأعمال ؛ فعقد مندوبو الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية مؤتمراً عاماً فى فرسوفيا عاصمة بولنده حضره أيضاً مندوبون عن الحزبين الشيوعيين فى فرنسا وإيطاليا وقرروا فيه إنشاء مكتب دائم للاستعلامات الشيوعية يُعنى بتنظيم جهود الأحزاب الشيوعية فى سائر الدول وتنسيق أعمالها . وجعلوا مركزه فى بلغراد عاصمة يوغسلافيا ، ليكون المكتب على اتصال

وثيق بروسيا من جهة ، وقريباً من المنطقة الدولية في تربيته من جهة أخرى . والناس يتكهنون لتريبته بأنها ستكون «دانزج» الجديدة التي تمهد للحرب العالمية الثالثة . ويعرف المكتب الجديد «بالكومنفورم» Cominform أي الاستعلامات الشيوعية ، تمييزاً له عن «الكومنترن» Comintern أي الشيوعية الدولية التي ألغتها روسيا رسمياً في إبان الحرب الأخيرة في مارس سنة ١٩٤٣ . ووجه الخطر من هذا المكتب أنه يجعل الأحزاب الشيوعية في الدول المختلفة تابعة في خططها وتوجهاتها للهيئة المركزية وإرشاداتها ، وأن ولاء الشيوعيين سينحرف تبعاً لذلك إلى جانب المركز الرئيسي الدولي دون غيره من الهيئات الوطنية .

وسم أن أعضاء المكتب الجديد لا يزيدون على تسع دول فان إحياء حركة الشيوعية الدولية تحت العنوان الجديد من شأنه أن يثير مخاوف الدول الأخرى التي مارالت ترى في المبادئ لشيوعية خطراً يهدد كيائها لأنها تحض على العنف وعلى الثورة العالمية . ولقد خطب الرفيق مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتي بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على الثورة البلشفية الكبرى فقال عن إنشاء «الكومنفورم» ما يأتي : «إن الحزب البلشفي السوفيتي ليرحب بانشاء هذا المكتب الذي ينظم حركة تبادل الآراء ووجهات النظر بين الأحزاب الشيوعية في بعض الدول ، بقصد تمهيد السبيل لنمو هذه الحركة . وإن الحزب ليتنى لهذا المكتب النجاح . إننا نعيش الآن في عصر تؤدي جميع الطرق فيه إلى الشيوعية .» وقال مشيراً إلى مهمة الحركة الشيوعية العالمية «إن الشعوب التي أيقظها إدراكها لحقائق الأمور لترى في نجاح الاتحاد السوفيتي ، عاملاً يمكنها من أن تدنو من اليوم الذي سيتسنى لها فيه أن تتخلص من نير الاستعباد .»

وليس من شك في ان سولوتوف إنما اراد بحملته على الاستعباد أن يقاوم الخطر الأمريكي الذي تعرضت له بعض دول أوروبا منذ أعلن الرئيس ترومان في مارس الماضي، سبدها الجديد الذي قضى به على سياسة الفرقة الامريكية القديمة التي انتهجتها الولايات المتحدة في الماضي فنأت بسياستها عن جانب أوروبا وانطوى اهتمامها على نفسها وعلى شؤون أمريكا بصفة خاصة . فجاء ترومان وأعلن أمام الكونغرس أو المؤتمر الأمريكي الذي يجمع بين شيوخ الدوله

ونوابها عزمه على التدخل لمساعدة اليونان وتركيا وتقديم قرض لهما بمبلغ أربعائة مليون دولار ، وقال مخاطبا الكونجرس : إنه في سبيل تقدم الشعوب في ظلال السلم وإبعاد أسباب القهر والاستبداد ، نهضت الولايات المتحدة بدور رئيسي في تكوين هيئة الأمم المتحدة . . . ولا يمكن أن نحقق أغراضنا إلا إذا عقدنا النية على مساعدة الشعوب الحرة في المحافظة على نظمها الحرة وسلامة وطنها من الحركات العدوانية التي تحاول فرض نظمها الدكتاتورية عليها . . . فاذا أمسكنا عن مساعدة اليونان وتركيا في هذا الوقت العصيب فسيكون لامساكنا هذا آثار بعيدة المدى تصيب الغرب والشرق جميعاً . وقد ذكر الرئيس ترومان صراحة أنه إنما قصد بتدخله صدّ عدوان روسيا عن تركيا واليونان وهما الدولتان الوحيدتان اللتان وقفنا حجر عثرة في طريق نهضة الحكومات الشيوعية في شرق أوروبا . لذلك وطنت روسيا عزمها على الكفاح والتحدى والمقاومة .

وأخذت توطد أركان الأحزاب الشيوعية في البلاد الداخلة في دائرة نفوذها ، فضمت بلاد المجر إلى حظيرة البلاد التي تعتنق الشيوعية ، واعتقلت زعيم الحزب المعارض للشيوعيين في رومانيا بتهمة التآمر على خيانة الدولة . وحوكم لهذا السبب عينه زعيم المعارضة في بلغاريا ونفذ فيه حكم الأعدام رغم اعتراض الحكومتين البريطانية والأمريكية . ولا تزال حرب العصابات مشتعلة في شمال اليونان يلهبها الشيوعيون المتاحمون للبلاد . وفي منطقة تريسته الدولية أبت روسيا أن توافق على تعيين حاكم عام للمنطقة ما لم يكن الحاكم من مرشحيها . وأخيراً قام الشيوعيون في فرنسا وإيطاليا باضرابات وقلاقل كادت تقضي إلى تفوقهم السياسي لولا تضافر العناصر المناوئة للشيوعية ضدهم .

ورأت حكومة الولايات المتحدة وحليفها بريطانيا أن الدرع الوحيدة التي تستطيع الحكومات الغربية أن تتقي بها ضربات الشيوعيين أن تنهض كل منها بانعاش الحالة الاقتصادية في بلادها ، فتعاون الأهلين على استعادة انتاجهم الزراعي والصناعي ، حتى تنشط حركة التبادل بين الشعوب وتعود البلاد سيرتها الأولى . ولما كانت الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي تستطيع إقالة أوروبا من عثرتها والأخذ بيدها في محنتها المالية الحاضرة ، بدا لستر مارشال

الوزير الأمريكى الجديد ان يهتم الفرصة فيخفف من وقع السياسة الجديدة التى أعلنها مستر ترومان وخص بها اليونان وتركيا ، فصرح فى يونيه الماضى بأن حكومة الولايات المتحدة رغبة منها فى إنعاش أوروبا اقتصاديا مستعدة لمعاونتها ماليا إذا انفتحت الدول الراغبة فى هذا التعاون على إنشاء برنامج مشترك للتعمير والانتاج فى بلادها . ولاحق حينذاك بارقة أمل فى إمكان توحيد أوروبا اقتصاديا وإن عزز توحيدها سياسيا . وقد ساعد على تعزيز هذا الأمل أن وزير خارجية اتحاد السوفيت قد اشترك بنفسه مع وزيرى إنجلترا وفرنسا فى اجتماع عقد فى باريس فى الصيف الماضى لبحث هذا المشروع الخطير الذى عرف « بمشروع مارشال » . ولكن وزراء الدول الثلاث ما كادوا يجتمعون حتى بدا اختلافهم من جديد ، ورأت روسيا أن تدخل أمريكا الاقتصادى ما هو فى حقيقة الأمر إلا مقدمة لتدخلها السياسى فى شؤون دول أوروبا الصغرى . وعلى ذلك غادر الوزير السوفيتى باريس وقاطعت روسيا المؤتمر الذى دعت إليه إنجلترا وفرنسا وقاطعته معها دول شرق أوروبا . وأخيرا اجتمع مندوبو ست عشرة دولة لاعداد البرنامج الاقتصادى الذى طلبته حكومة الولايات المتحدة . وقد تقدمت الدول ببرنامجها فى الشهر الماضى . ولكن الأزمة المالية الخائفة فى بلاد كفرنسا وإيطاليا والنمسا جعلت أمريكا تعجل بانقاذ الحالة . وتقدم رئيس الولايات المتحدة أخيراً ييبب بأعضاء الكونجرس الأمريكى أن يلبوا حاجة أوروبا الملحة للمساعدة فيعقدوا اجتماعاً غير عادى يقررون فيه إسعاف أوروبا بمبلغ بدائى ، وذلك إلى أن يتيسر للمجلس دراسة مشروع مارشال برسته على مهل . وبهذه الطريقة تقوى حكومات أوروبا على إنقاذ صعوبها من خطر المجاعة والتعطل من جهة وتستطيع الولايات المتحدة التغلب على حركة التضخم المالى وارتفاع أسعار الحاجيات فيها من جهة أخرى .

وعلى ذلك ظهرت معالم الكتلتين الشرقية والغربية واضحة للعيان ؛ فان ست عشرة دولة (١) فى أوروبا قد آثرت أن تلبى دعوة أمريكا وتشترك معاً

(١) هذه الدول هى : بريطانيا - فرنسا - هولندا - بلجيكا - لكسمبورج - النمسا - الدنمركة - النرويج - السويد - إرلندا - اليونان - إيطاليا - البرتغال - سويسرا - ليسلنده - تركيا

برئاسة بريطانيا في إعداد برنامج مشترك للانشاء والتعمير . وقد شملت الكتلة الغربية عدا الدول المطلة على المحيط الأطلنطي تركيا واليونان وإيطاليا ، ولم تنضم أسبانيا إليها للحجر السياسى الذى فرضته هيئة الأمم المتحدة فى العام الماضى وأقصت به أسبانيا عن المؤتمرات الدولية . ولأجل أن يكون التوازن ملحوظا بين الكتلتين رأى اتحاد السوفيت أن يشعر دول الكتلة الشرقية بأن مصالحها المشتركة هى أيضاً موضوع الدرس والاهتمام ، فأنشأت مكتب الكومنفرورم الذى سبقت الاشارة إليه (١) .

وقد بدا الانقسام وانحما بين الكتلتين فى المسائل والقضايا التى عرضت أمام هيئة الأمم المتحدة سواء أمام مجلس الأمن أو فى جمعيتها العمومية . وهنا يستطيع الباحث أن يستخلص من أسباب النزاع بين الفريقين مسألتين هما — إن صح اعتقادنا — مصدر الداء وأصل الخلاف : القنبلة الذرية وحق الفيتو . وستناول هنا مسألة الطاقة الذرية التى فوجئت بها روسيا والعالم كله عندما ألقت القوات الأمريكية فى الشرق الأقصى القنبلة الأولى على هيروشيما فى أغسطس سنة ١٩٤٥ أى بعد دخول روسيا الحرب ضد اليابان بأسابيع قليلة . وكانما الضباب المسمم الذى خلفته القنبلة واحتوى على هيروشيما المنكودة قد غطى أيضاً بسمومه جو العلاقات السياسية بين روسيا وحلفائها انسكسونيين ، فأوجد بينهما منذ إلقاء القنبلة هوة ما برحت تتسع وتغور نحو القاع ، حتى لمست الهوة الصخر الصلد الذى لا يلين ولا ينبجس منه الماء ! وليس أدل على عظم هذه الهوة وسعتها من مظاهر الجفاف والتشكك وفقدان الثقة التى سادت بين الحلفاء منذ اجتماع الزعماء فى بوتسدام فى صيف سنة ١٩٤٥ إلى الآن . ولو أن الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وهم أصحاب سر القنبلة قد أبرءوا ضمائرهم ووضعوا سر القنبلة بين أيدي هيئة الأمم المتحدة من أول الأمر لأمكن رأب الصدع وتفادى الخطر فى صفوف الحلفاء . ولكن أناساً ظهوروا فى أمريكا وأوروبا ، ومنهم كثير من رجال الحرب ، نادوا بالاحتفاظ بالسر الرهيب حتى يمكن مفاجأة روسيا به إذا

(١) ويتألف المكتب المذكور من الدول الآتية : بلغاريا — تشيكوسلوفاكيا — المجر — بولندا — رومانيا — يوغسلافيا — اتحاد السوفيت . يضاف إليها الحزبان الشيوعيان فى فرنسا وإيطاليا .

اقتضت الحال قبل أن تصل إلى سر صنعها . وكان العلماء قد أفتوا بأن كشف الطاقة الذرية لن يبقى طويلا سرا مجهولا ، ولكن الاهتداء إلى صنع القنبلة وإنتاجها قد يستغرق سنين طويلة . وعلى ذلك سرعان ما ظهرت محاولات ومؤامرات أراد بها مدبروها من السوفيت أو غيرهم الوقوف على سر القنبلة في كندا ، فدعا رئيس الولايات المتحدة رؤساء الحكومات الثلاث إلى اجتماع عقد في واشنطن وعرروا استعدادهم لإشراك الدول الأخرى معهم في سر القنبلة متى وافقت هيئة الأمم المتحدة على اتخاذ الاجراءات اللازمة لمنع استخدام الطاقة الذرية في أغراض التدمير والعدوان . وتألفت على أثر ذلك لجنة مثلت فيها الدول التي يتكون منها مجلس الأمن ومعهم مندوب من حكومة كندا وهي إحدى الدول الثلاث صاحبات السر . وعرفت هذه اللجنة باسم مندوب أمريكا برنارد باروخ Bernard Baruch وهو من سياسيين أمريكا القدماء الكفاءة . وقد عقدت اللجنة جلساتها في نيويورك في ربيع سنة ١٩٤٦ وقدمت تقريرها وفيه اقترحت تأليف هيئة دولية تعمل لاحتكار جميع المواد الخام التي تدخل في صنع القنبلة حيثما وجدت ، كما تحتكر أسرار صنعها . واقترحت اللجنة أن تتعهد الدول بالامتناع عن إجراء البحوث الخاصة بالطاقة الذرية إلا باذن من الهيئة ، على أن يكون للهيئة حق التفتيش في البلاد المختلفة وتوقيع العقوبات الرادعة على الدولة التي تخدنها نفسها بمخالفة هذه التعهدات . وذكرت اللجنة أنه متى تم تكوين الهيئة المذكورة فان واجب حكومة الولايات المتحدة أن تُعَدِّم القنابل الذرية المدخرة لديها وتتفق إنتاج القنبلة بعد ذلك بناتاً . ثم أضافت اللجنة شرطاً أساسياً لقبول مقترحاتها ، وهو أن تنزل الدول التي لها حق الفيتو في مجلس الأمن عن حقها في تطبيقه في حالة اقتراح العقوبات التي توقع عند مخالفة التعهدات المذكورة ، حتى لا تقلت دولة كبيرة أنا كانت من العقوبات متى نكثت عهدها وأخلت بشروط عدم إساءة استخدام الذرة . ومع أن جميع الدول التي مثلت في اللجنة المذكورة قد وافقت على هذه الشروط فان حكومة اتحاد السوفيت قد عارضت بشدة في حق التفتيش الذي سيخول للهيئة ، وفي نزولها عن حق الفيتو . واقتصرت روسيا في حماسها ضد هذا السلاح المدمر على المطالبة بعقد معاهدة دولية يحظر فيها استخدام القنبلة الذرية قانوناً . وما فتئت روسيا

إلى اليوم. تتم الولايات المتحدة وبريطانيا بأنهما تهددان العالم بهذا السر ، وتعملان لمناهضة حركة نزع السلاح أو تخفيفه ، باحتفاظهما بسر القنبلة الذرية . ولكن الحكومتين تصران على ضرورة قبول الشروط التي وضعتها اللجنة قبل إفشاء السر ، وتقولان إنه ما دعا روسيا إلى معارضة حق التفتيش والتثبت بحق الفيتو إلا إصرارها على حفظ أسرارها الحربية ، والتمسك باقامة السد الحديدي بينها وبين دول العالم . وإنه يكفي برهاناً على تجرد الدولتين من أية مصلحة ذاتية لهما أنهما قبلتا إعدام القنابل الذرية الموجودة لديهما ، والنزول طوعاً عن حقهما في استخدام الفيتو فيما يخص العقوبات المتعلقة بمخالفة شروط الذرة .

وقد سخر الرفيق مولوتوف أخيراً من موقف الدولتين إزاء القنبلة الذرية ، فقال في خطبته الأخيرة بمناسبة الذكرى الثلاثينية للشورة الروسية : « ... وخلق بالذکر هنا أن تقرر أن الاستعماريين في أمريكا لا يثقون بطاقة بلادهم الداخلية ، ولهذا تراهم يعتمدون كل الاعتماد على القنبلة الذرية ، مع أن هذا السر قد أُضحى مفضوحاً منذ زمن طويل . ولا يخفى أن الاستعماريين يحتاجون إلى هذه الثقة بالقنبلة الذرية التي هي سلاح للعدوان لا للدفاع كما هو معروف . » فهذا كلام له خطره ، معناه أن روسيا تتسلح بالقنبلة كما تتسلح أمريكا وبريطانيا . وما لاشك فيه أن القنبلة الذرية سواء أكانت سلاحاً للهجوم أم للدفاع فهي قبل كل شيء أفتك سلاح اخترعه الانسان ضد المدنية والانسانية جمعاء . وإذا كان بعض الناس قد تقموا على الولايات المتحدة في نهاية الحرب أنها استخدمت قنبلتين اثنتين لضرب اليابان وحملها على التسليم في الحرب الأخيرة ، فهل يجوز أن تختلف الدول الكبرى في وقت السلم وأمام الهيئة المنوطة بصيانة السلام بين شعوب العالم على مراقبة الطاقة الذرية وتأمين الانسانية ضد أخطارها ؟

إن الخلاف بين دول الكتلتين خطير ومتعدد الجوانب . ولكن أشد مظاهر هذا الخلاف هو ترك موضوع الطاقة الذرية دون رقابة دولية وإهدار هذ السر وجعله خطراً مشاعاً بين الناس ، قد يكتشفه الروس غداً والألمان بعد غد ، ثم يليهم الطليان واليابانيون والهنود واليهود من بعدهم ، إلى آخر القائمة . وهكذا لا يقتصر الخطر من الكلام عن الحرب على اصطدام قوى

بين السكتلين أو قيام حرب عالمية ثالثة ، بل نكاد نؤمن أن العالم سيستحيل بعد ذلك إلى حقول تجريبية هائلة تستنبت فيها الشعوب القنبلة الذرية ، كما استنبت كدموس في الأسطورة الاغريقية القديمة أسنان التين التي بذرها في مدينة طيبه الاغريقية فلم تلبث الأسنان أن أثمرت وأخرجت سلالة من الوحوش الكاسرة كان كدموس نفسه مؤسس طيبه أول من تعرض لآفاتها وبطشها .

محمد رفعت